دلالات البنية الصوتية والصرفية في سورة المرسلات

د. رافع عبد الغني يحيى الطائي أ.م.د. هلال علي محمود

كلية الآداب/ جامعة الموصل

The Denotations of the Morphological and phonetic Structures in ''surat Al Mursalat''

Dr. Rafea Abdul Ghani Yahya Al Taie

Dr. Hilal Ali Mahmoud

College of Arts\ University of Mosul

Reemalteab@gmail.com

Abstract

The comprehension of The Glorious Quran is based on The Arabic language This resulted in a number of linguistic science such as Morphological and phonetics. These two sciences and always interrelated to the extent that one may consider them one field, but in fact the former completes the later.

This paper shows the role of the morphological and phonetic structures in improving and enriching the language and dissevers its secrets when interpreting the miraculous sure of al mursalat. It also shows depending on the cooperation among the relationship between the morphological and functional structures and the functional value of their forms.

Keywords: sign, structure, voice, Exchange, al-mursalat.

الملخص

ارتبط فهم القرآن الكريم باللغة العربية مما أدّى إلى ظهور علوم عديدة، وكان من بين هذه العلوم التي نشأت علم الصرف وعلم الصوت، ولطالما ارتبط هذان العلمان ببعضهما حتى يُظن أنهما علم واحد إلا أن الأول مكمل للثاني.

لقد سلط هذا البحث الضوء على دلالة البنية الصوتية والصرفية؛ لدقتها وأهميتها في إثراء اللغة ونماء رصيدها من ناحية، وللكشف عن أسرار اللغة في نصٍ معجز وهو سورة (المرسلات) من ناحية أخرى، منطلقاً من مبدأ التكامل بين مستويات الدرس اللغوي، لبيان العلاقة بين البنية الصوتية والصرفية وقيمتها الدلالية في إطار الشكل الوظيفي الذي اتخذته.

الكلمات المفتاحية: دلالة، بنية، صوت، صرف، سورة المرسلات.

الملخص

ارتبط فهم القرآن الكريم باللغة العربية مما أدّى إلى ظهور علوم عديدة، وكان من بين هذه العلوم التي نشأت علم الصرف وعلم الصوت، ولطالما ارتبط هذان العلمان ببعضهما حتى يُظن أنهما علم واحد إلا أن الأول مكمل للثاني.

لقد سلط هذا البحث الضوء على دلالة البنية الصوتية والصرفية؛ لدقتها وأهميتها في إثراء اللغة ونماء رصيدها من ناحية، وللكشف عن أسرار اللغة في نصٍ معجز وهو سورة (المرسلات) من ناحية أخرى، منطلقاً من مبدأ التكامل بين مستويات الدرس اللغوي، لبيان العلاقة بين البنية الصوتية والصرفية وقيمتها الدلالية في إطار الشكل الوظيفي الذي اتخذته.

التمهيد: بين يدي السورة

سورة المرسلات مكية في قول جمهور المفسرين، وعدد آياتها خمسون آية، وحروفها ثماني مئة وستة عشر حرفاً، وكلماتها مئة وإحدى وثمانون، نزلت بعد سورة الهمزة[١].

(١) ينظر: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ): الكشف والبيان عن تفسير القرآن تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ، ٢٠٠٢م:١٠/١٠٨، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الملقب بفخر الدين الرازي(ت: ٦٠٦هـ): مفاتيح الغيب المسمى (التفسير الكبير) ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ:٣٠/٧٦٤.

تسميتها: سمّيت في عهد الصحابة بسورة (والمرسلات عرفاً)[١]، فعن عبد اللَّه بن مسعود (ﷺ) قال: " كنا مع رسول الله (ﷺ) في غار فنزلت (والمرسلات عرفا)، فإنّا لنتلقاها من فيه إذ خرجت حية من جحرها فابتدرناها لنقتلها فسبقتنا ودخلت جحرها، فقال رسول الله (ﷺ): "وقيت شركم كما وقيتم شرها "[٢]، وتسمّى أيضاً سورة العرف[٣].

نزولها: نزلت سورة المرسلات بعد سورة الهمزة التي نزلت بعد سورة القيامة، وكان نزول سورة القيامة بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء[٤].

فضلها: عن أبي بكر الصديق(ﷺ) قال: سألت النبي (ﷺ) ما شيَّبك؟ قال: " سورة هود والواقعة والمرسلات وعمّ يتساءلون وإذا الشمس كورت"[٥].

مقصودها: قال البقاعي(ت٨٨٥هـ):" ومقصودها: الدلالة على آخر الإنسان، من إثابة الشاكرين بالنعيم، وإصابة الكافرين بعذاب الجحيم، في يوم الفصل، بعد جمع الأجساد، وبعث العباد، بعد طي هذا الوجود، وتغيير العالم المشهود، المحسوس المعهود، بما له سبحانه من القدرة على إنبات النبات، وإنشاء الأقوات، وإنزال العلوم، واتساع الفهوم لإحياء الأرواح، وإسعاد الأشباح، بأسباب خفية، وعلل مرئية، وغير مرئية"[٦].

المقدمة

كانت العناية بالقرآن الكريم مؤسَّسة على بيان نظمه المعجز لِمَا انماز به من جزالة اللفظ، وحسن النسق، وهذه _العناية_ ليست ترفاً في التفكير، ولا نافلة للنفس، من هنا كان البحث في ألفاظ القرآن الكريم لزاماً لكل لغوي في كل عصر، فقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى سننهم في التعبير، وأساليبهم في البلاغة، فكانوا كلّهم يفهمونه معانيه في مفرداته وتراكيبه، فألفاظ القرآن الكريم لها حلاوة لا تدانيها حلاوة، ولها عذوبة دونها كل عذوبة، فهي منتقاة من جواهر الفصيح من الألفاظ العربية التي تكسب الكلام بهاء وتمنحه فخامة وروعة، ولأجل كلّ هذا ورغبة في النفس جاء اختيار هذا الموضوع.

ولقد جرى التحليل الصوتي والصرفي لسورة المرسلات لما تضمنه السورة الكريمة من ظواهر صوتية وصرفية تقتضي التبيين والإيضاح، وعلى وفق ذلك سار التحليل على هذين المسارين الصوتي والصرفي بغية الوقوف على القيمة الدلالية للبنية الصوتية، والمغزى الدلالي للبنية الصرفية ما أمكن ذلك على ما تمنحه معطيات علمي الصوت والصرف فضلاً عن كلام المفسرين من قدماء ومحدثين.

ولذا انتظم هذا البحث في تمهيد ومبحثين وخاتمة، تناول التمهيد مدخلاً تعريفياً بالسورة، وقام المبحث الأول على البنية الصوتية فيها، في حين تضمن الثاني القيم الصرفية فيها، ثم في الختام دُوّنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

المبحث الأول: البنية الصوتية

اختلف المفسرون في معنى(المرسلات) على قولين أحدهما أنها الرياح، والآخر أنها الملائكة[٧]، وتكشف لنا البنية الصوتية عن تلك المعاني إذ تتألف الكلمة من ثلاثة أصوات متوسطة هي (الميم، الراء، اللام)، وصوتين مهموسين(السين، التاء) وصوت واحد

(١) ينظر: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت: ١٣٩٣هـ): تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المعروف بـ (التحرير والتنوير)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م:٤١٧/٢٩.

(٢) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري(ت:٢٥٦هـ): صحيح البخاري، تح: مصطفى البغا، ط٣، دار ابن كثير، بيروت، ، ١٩٨٧م:٣/ ١٢٠٥.

(٣) ينظر: إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥: ٢٨١/٨، أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت: ١٠٦٩هـ): عناية القاضي وكفاية الرَّاضي على تفسير البيضاوي المسماة (حاشية الشِّهاب على تفسير البيضاوي): دار صادر، بيروت،(د. ت):٨/ ٢٩٤، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ): محاسن التأويل، تح: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ، ١٤١٨هـ:٩/ ٣٨١.

(٤) جعفر شرف الدين: الموسوعة القرآنية، خصائص السور، ط١، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت،١٤٢٠ هـ.

(٥) الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ): المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٠م:٥١٨/٢.

(٦) إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي: مصاعد النَّظر للإشراف على مقاصد السور، ط١، مكتبة المعارف، الرياض،١٩٨٧ م.

(٧) ينظر: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري(ت٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م: ١٢٢/٢٤، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي(ت٥٤٢هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد

مجهور(الألف)، وهذا التوزيع الصوتي يوحي بأن تلك الرياح ليست شديدة قوية تسوق البلاء، وتأتي بالعذاب، وتهلك الحرث والنسل، بل هي مبشرة بالمطر مسخرة بأمر الله لنقل السحاب وما أن تهبّ حتى تأتي معها نسمات الخير والعطاء، ويؤيد ذلك أنه " ليس في محض الإرسال دلالة على الشدة، فلذلك عطف عليه العاصفات بالفاء"[١]، وهذا القصد الواضح في استعمل الرياح يتجلّى في القرآن الكريم باستعمالها حيث وردت في الخير والرحمة[٢]، وحين نمعن النظر في أصوات هذه الكلمة نجد نوعاً من التناسب مع دلالاتها فصوت غنة الميم تقابل صوت هبوب الرياح، وهي مستمدة من قوة الجهر والتوسط فيه، فضلاً عن دلالة الميم على التجمع والانضمام[٣] الذي يوحي بتجمع الهواء، ثم يأتي صوت الراء الذي يوصف بالتكرار ليوحي بأن تلك الرياح متكررة مستمرة مرة بعد أخرى، وكذلك يوحي صوت السين بهمسه ورخاوته بسير تلك الرياح من مكان إلى آخر، ويتناسب امتداد النَفَس عند نطق صوت الألف المدي وما يصاحبه من امتداد الصوت مع امتداد الرياح واسترسالها الزماني والمكاني، ويوصف الألف أيضاً باتساع الصوت بمخرجه فيكون مجرى النَفَس معه أوسع ما يكون بخلاف الواو والياء المديتين[٤] وهذا الاتساع يوحي بانتشار تلك الرياح واتساعها وكأنها تنتشر في أرجاء الأرض لتصل كل ما قُدر لها أن تبلغه.

وأما المعنى الآخر للمرسلات وهو الملائكة فتظهر المناسبة بين بنيتها الصوتية وما تدل عليه من خلال أصواتها فصفة التكرير في صوت الراء تصور تتابع إرسال الملائكة الذين يبعثهم الله لتبليغ الوحي، أو تكرار تنفيذ أوامر الله تعالى، وتأتي السين بصفيرها وانبساطها لتقابل انتشار الملائكة وتفرقها في كل نواحي الأرض فمن خصائصها الحركة والسعة والبسط[٥]، وبعدها يأتي صوت الألف الممدود المجهور وهو ملمح من ملامح القوة ليناسب قوة إعلان الوحي وكشفه وعلوّه فالجهر من الصفات القوية[٦].

وإذا تأملنا الآلية النطقية لأصوات هذه الكلمة نجد نوعاً من الإيحاء عن دلالتها فصوت الميم الذي يحدث بانطباق الشفتين على بعضهما انطباقاً تاماً فينحبس الهواء في الفم ثم يأخذ الهواء مسراه بالخروج عن طريق الأنف[٧] يوافق أحداث هبوب الرياح وانتشارها، وأما الراء الذي يصدر" بتكرار ضربات اللسان على مؤخر اللثة تكراراً سريعاً"[٨] فيدلّ عما يماثله في الطبيعة من صور مرئية تنطوي على تتابع الرياح وتحركها، وفي نطق السين يحصل الصفير ومعه الهواء الخارج من الفم في أثناء نطقه يوحي بصوت الرياح، ويأتي صوت الألف الذي يخرج الهواء عند النطق به بشكل مستمر من دون عائق[٩] ليقابل مواصلة الرياح واستمرارها مدة زمنية معينة، وتختم الكلمة بصوت التاء الذي يحصل بانحباس الهواء عند التقاء طرف اللسان بالثنايا العليا، وحين ينفصل اللسان يندفع الهواء بقوة محدثا صوتاً انفجارياً[١٠] وهذا يقابل قوة اندفاع الرياح في الطبيعة.

بعد هذا التحليل الصوتي لاسم السورة نتناول آياتها منطلقين من التناسق الموضوعي الذي شكل سمة من سمات الإعجاز القرآني، وقد تمثل في سورة المرسلات بتماسك الكلمات، وانسجام التراكيب، ومن ثم تآلف الألفاظ والمعاني، وانقسمت هذه السورة إلى أربعة موضوعات هي: وقوع يوم القيامة وعلاماته، تخويف الكفار والاعتبار بمصارع الغابرين، وعيد المكذبين وبيان كيفية عذابهم في

الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ:٤١٦/٥، الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي(ت٦٧١هـ) ، تح: أحمد البردوني، ط٢، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٩٦٤م:١٤٥/١٩.

(١)عبد الحميد الفراهي: نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ط١،الدائرة الحميدية، الهند، ٢٠٠٨م: ٢٥.

(٢) ينظر: فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، دار عمار، الأردن، ٢٠٠٧م:١٤.

(٣) ينظر: عُلية مُنفردة، كلية العلوم الانسانية: خصائص الحروف العربية ومعانيها في المعجم الوسيط _دراسة وصفية تحليلية عن المفردات_ جامعة مولانا مالك إبراهيم، اندونيسيا،٢٠١٠م: ١٩٦.

(٤) ينظر: أبو بشر عمرو بن عثمان (سيبويه)(ت١٨٠هـ): الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.:٤/ ٤٣٥، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني(ت٤٤٤هـ): التحديد في الإتقان والتجويد ، تح: غانم قدوري حمد، ط١، مطبعة الخلود، بغداد، ١٩٨٨م.

(٥) ينظر: عبد الله العلايلي: تهذيب المقدمة اللغوية، دار السؤال للطباعة، دمشق، ١٩٨٥: ٦٤، حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، مطبعة اتحاد كتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨م:١١٢.

(٦) ينظر: مكي بن أبي طالب القيسي(ت٤٣٧هـ): الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٤م: ١٣٧/١.

(٧) ينظر: عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ط١، دار صفاء للنشر، عمان، ١٩٩٨م: ١٥٧.

(٨) ينظر: كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م: ٣٤٥.

(٩) غانم قدوري الحمد، دار عمار: المدخل إلى علم أصوات العربية: عمان، ٢٠٠٤م:١٣٧.

(١٠) ينظر: علم الأصوات: ٢٤٩.

الآخرة، ذكر جزاء المحسنين[١]، وتتحد هذه الموضوعات كلها لتدل على مقصود السورة وهو" إثابة الشاكرين بالنعيم، وإصابة الكافرين بعذاب الجحيم في يوم الفصل بعد جمع الأجساد وبعث العباد"[٢]، وسنقوم بتحليل البنية الصوتية على وفق هذه المحاور.

يقوم المحور الأول من السورة على علامات يوم القيامة وحتمية وقوعه، وتتناسب البنية الصوتية مع هذا المشهد إذ بلغت الأصوات المجهورة (القوية) فيه اثنين وسبعين صوتاً في حين بلغت الأصوات المهموسة أربعين صوتاً وهذا يوحي بقوة المشهد وهو يصور" الانقلابات الكونية الهائلة في السماء والأرض، وهي الموعد الذي تنتهي إليه الرسل بحسابها مع البشر"[٣]، ويتبيّن من خلال الإحصاء أن أكثر الأصوات وروداً في هذا المشهد هم اللام ثم الراء ثم الميم، والأول من الأصوات الإيمائية التمثيلية[٤] ليجسد الذهول في ملامح البشر وسماتهم وحركاتهم، والخوف المستكن في نفوسهم من أهوال يوم القيامة ولعلّه من أبرز ما في الموقف، وأما صوت الراء فإن صدى الأصوات في النفس من شدة الانفعال النفسي والجسدي تحاكي ما في صوت الراء من التكرار والتحرك، وتدل هذه الخاصية أيضاً عما يماثلها في الطبيعة من صور مرئية تنطوي على التحرك والتكرار تدرك بحاسة البصر[٥] إذ إن العوالم التي يقع فيها التغيير والتبديل من أحداث القيامة ثلاثة تدرك بالبصر وهي " العالم العلوي، والعالم الأرضي، والعالم الإنساني، ففي العالم العلويّ: تنفطر السماء، وتنتثر الكواكب، وتتكور الشمس، وتنكدر النجوم، وتنفرج السماء، وتتشقق، ويخسف القمر، ويجمع الشمس والقمر، وفى العالم الأرضي: تنفجر البحار، وتسيّر الجبال، وتكون كالعهن المنفوش، وتنسف نسفا، وتدكّ دكا، وفى عالم الإنسان: تبعثر القبور، ويكون الناس كالفراش المبثوث، وتبرق أبصارهم، ويتدافعون أفواجا إلى المحشر"[٦]، ويدلّ صوت الراء كذلك على شيوع الوصف[٧] لينا سب انتشار أهوال يوم القيامة وشيوع أوصافه بين الناس، وصوت الميم يدل على الانجماع والانضمام يماثل تجمع الإنس والجان والحيوان في يوم القيامة قال تعالى: **(وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) [الشورى: ٧].**

من اللافت للانتباه في هذا المحور أن مجموع الأصوات الرخوة بلغ خمسين صوتاً بالمقارنة مع الأصوات الشديدة التي بلغت ستة وثلاثين صوتاً، وهذا لا يتناسب مع أهوال يوم القيامة التي تتصف بالقوة والشدة فتحتاج هذه الأهوال إلى أصوات قوية تناسب هذا المعنى، وهنا يبرز الإعجاز القرآني في دلالة الأصوات إذ إن الأصوات الرخوة هي أصوات ضعيفة وقد تكرر منها أصوات(السين، والفاء، والصاد، والشين) التي جمعت بين الرخاوة والهمس ومتى" اجتمعا في الحروف كان أضعف له"[٨] فدلت هنا على ضعف الأشياء والموجودات وتلاشيها فلا يبقى منها شيء يوم القيامة فتناسب وهن هذه الأصوات وضعفها مع ضعف مشاهد الطبيعة فترى" أجرام السماء في اضطراب: النجوم مطموسة لا نور فيها ولا ضياء، والسماء مصدوعة فيها شقوق وفروج، والجبال منسوفة لا تماسك فيها ولا قوام"[٩].

وإذا توقفنا عند آيات هذا المشهد نجد تناسباً بين كلماتها وأصواتها ففي قوله تعالى **(فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا)** [المرسلات: ٢] يوحي صوت الصاد في خصائصه النطقية بهذه الرياح " الشديدات الهبوب السريعات الممر"[١٠]؛ لأنه من الأصوات ذوات التردد العالي، وهذا التردد في حقيقته " قوة أكوستيكية ناجمة عن سرعة حركة الهواء في منطقة التضييق عند موضع النطق، إذ يتم حصر قدر كبير من الهواء في هذه المنطقة الضيقة فتشتد حركته على نحو يجعل توجهه نحو نقطة الخروج سريعاً"[١١]، فالتناسب قد حصل بين سرعة

(١) ينظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، ط٢، دمشق، ١٤١٨ هـ:٣١٢/٢٩، محمد حبيب مختار المبارك: التناسق الموضوعي في سور القيامة والإنسان والمرسلات، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٤هـ:١٩٥.

(٢) مصاعد النّظر للإشراف على مقاصد السور:١٤٧/٣.

(٣) ينظر: سيد قطب إبراهيم حسين(ت ١٣٨٥هـ): في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط ١٤١٢،١٧هـ:٣٧٩٠/٦.

(٤) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها: ٧٩.

(٥) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها: ٩٠.

(٦)عبد الكريم يونس الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة:٥٤٨/١٤.

(٧) ينظر: تهذيب المقدمة اللغوية:٦٣.

(٨) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ١٣٧/١.

(٩) سيد قطب: مشاهد القيامة في القرآن، ط١٦، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦م: ٨٤.

(١٠)جامع البيان في تأويل القرآن:١٢٥/٢٤.

(١١) سمير شريف إستيتية، الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ط١، دار وائل لنشر، عمّان، ٢٠٠٢م: ١٥٨.

حركة الهواء في منطقة نطقه وبين سرعة هذه الريح القوية، ويدل الاستعلاء والاطباق فيه على قوة هذه الريح وشدتها، فالعصف يطلق على قوّة هبوب الريح لأنه حال من أحوالها حين يشتدّ هبوبها فتتحول إلى عواصف؛ ولذا يقَال: عصفت الريح إذا هبت بتصويت[١]، وتظهر المناسبة بين الفاء والريح في خروج الهواء من الفم عند نطقها ليقابل هبوب الريح فضلا عن كونها من الأصوات المهموسة والرخوة وهاتان الصفتان فيهما جريان يحدث في الأولى للنَّفَس وفي الثانية للصوت[٢].

وعند قراءة قوله تعالى **(وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا)** [المرسلات:٣] نستوحي دلالة هذه الكلمة من أصواتها فدلت على ذاتها بذاتها إذ تطالعنا صفة التفشي في صوت الشين التي معناها في اللغة الانتشار يقال:" فشأ: تَفَشَّأَ الشيء تَفَشُّؤًا: انتشر... تَفَشَّأَ بالقوم المرض بالهمز تَفَشُّؤًا إذا انتشر فيهم"[٣]، وأما اصطلاحاً فهو: " انتشار الريح في الفم عند النطق بالشين حتى يتصل بمخرج الظاء المشالة"[٤]، وهي تقابل عملية الانتشار في الأشياء التي دلّت عليها هذه الآية قال الطبري (ت٣١٠هـ) في تفسيرها " وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالناشرات نشرا، ولم يخصص شيئاً من ذلك دون شيء، فالريح تنشر السحاب، والمطر ينشر الأرض، والملائكة تنشر الكتب، ولا دلالة من وجه يجب التسليم له على أن المراد من ذلك بعض دون بعض، فذلك على كل ما كان ناشرا"[٥]، وبيّن فخر الدين الرازي(٦٠٦هـ) هذا النشر فقال:" وبالجملة فقد نشروا الشيء الذي أُمروا بإيصاله إلى أهل الأرض ونَشْرِهِ فيهم"[٦].

وفي قوله تعالى **(فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا)** [المرسلات:٤] تعددت أقوال المفسرين فقيل: هي الملائكة تنزل بالفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام، وقيل: الرياح تفرق بين السّحاب فتبدِّده، وروي أنها آيات القرآن فرّق الله فيها بين الحق والباطل، وقيل: هي الرسل فرقوا بين ما أَمر اللَّه به ونهى عنه[٧]، ويحاكي الحفيف الخارج مع صوت الفاء أحد معانيها وهو الرياح إذ يتكون هذا الصوت حينما تتصل الشفة السفلى بأطراف الثنايا العليا ويندفع الهواء الخارج من الرئتين دون اهتزاز الأوتار الصوتية بعد أن يضيق مجرى الهواء ليسمع ذلك الحفيف أو الاحتكاك الذي يمنح صفة الرخاوة[٨]، فضلاً عن اجتماع الشفة مع أطراف الثنايا العليا الذي يوحي باجتماع الرياح وتكونها، وأما صوت القاف الذي يمتلك في التراث اللغوي من صفات القوة الاستعلاء والقلقة والشدة فيناسب قوة التمييز والفصل في القسم بكلّ فارقة بين الحقّ والباطل مَلَكا كان أو قرآنا أو غير ذلك، ولم يُخصص بذلك منهنّ بعضا دون بعض[٩]، وتبرز قوة هذه القاف في التفريق الحقيقي للملائكة بين أهل الجنّة وأهل النّار يوم الحساب، وتمييز الأُمم المُعذّبة في الدنيا عن الذين نجّاهم اللّه من العذاب، والتفريق المجازي بالوحي الذي يفرّق بين الحق والباطل، وبين الإيمان والكفر [١٠].

إما(الملقيات) في قوله تعالى **(فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا)** [المرسلات:٥] فقد ذهب المفسرون بالإجماع أنها الملآئكة تلقي كتب الله _عز وجلّ_[١١]، وهذا "الإلقاء مستعار لتبليغ الذّكر من العالم العلويّ إلى أهل الأرض بتشبيهه بإلقاء شيء من اليد إلى الأرض"[١٢]، ونجد أن أصوات هذه الكلمة كلّها مجهورة وشديدة وقد اكسبتها ذائقة سمعية قوية مما جعل" مصاقبة الشدة الصوتية للشدة الدلالية بين الصوت والمعنى الحقيقي"[١٣] يتجلّى فيها إذ إن هؤلاء الملآئكة أقوياء أمناء قادرين على حمل هذه الرسالة، وهي تضفي توجهاً بأن هذا

(١) ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير(ت٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم، تح: سامي محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر،١٩٩٩: ٢٩٧/٨، التفسير القرآني للقرآن:١٣٩٠/١٥، التحرير والتنوير:٤٢١/٢٩.
(٢) ينظر: الكتاب: ٤٣٤/٤، المدخل إلى علم أصوات العربية:١٠٤.
(٣) محمد بن مكرم بن على بن منظور(ت٧١١هـ): لسان العرب: دار صادر، بيروت،١٤١٤هـ: ١٢٢/١.
(٤) محمد مكي نصر، دقّق الطبعة: أحمد علي حسن: نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد: مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١١م:٨٠
(٥) جامع البيان في تأويل القرآن:١٢٧/٢٤.
(٦) مفاتيح الغيب(التفسير الكبير):٧٦٥/٣٠.
(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن:١٥٥/١٩، محمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت١٢٥٠هـ): فتح القدير: دار ابن كثير، ط١، بيروت،١٤١٤ هـ:٤٣٠/٥.
(٨) ينظر: عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية:١٥٨-١٥٩.
(٩)جامع البيان في تأويل القرآن:١٢٨/٢٤.
(١٠) التحرير والتنوير:٤٢٢/٢٩.
(١١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن:١٢٨/٢٤، الجامع لإحكام القرآن:١٥٦/١٩، تفسير القرآن العظيم: ٢٩٧/٨.
(١٢) التحرير والتنوير:٤٢٢/٢٩.
(١٣) محمد حسين الصغير: الصوت اللغوي في القرآن: دار المؤرخ، بيروت، (د. ت):١٥٨.

الذكر عظيم المنزلة فهو وحي الله، فضلا عن أن الإلقاء يتطلب قوة مناطها هنا تبليغ الملآئكة ما حملوا من الذكر، وفي قوله تعالى **(عُذْرًا أَوْ نُذْرًا)** [المرسلات:٦] نجد الإعلان الصريح عن أن هذه الملائكة تلقي الوحي إعذاراً إلى الخلق، وإنذاراً لهم من عقاب اللّه إن خالفوا أمره[١]، وهذا الإنذار والإعذار كان واضحاً بيّناً لا غموض فيه، وقد تمكّن في هاتين اللفظتين من خلال أصواتهما المجهورة التي تميزت بقوة وضوحها السمعي، فالصوت المجهور يمتلك طاقة نطقية تجعله واضحاً للسامع غير ملتبس بغيره من الأصوات اللغوية الأخرى[٢] ليصل إلى كل سامع أن "الملائكة يلقون وحي الله _تعالى _ إلى أنبيائه لإزالة أعذار المعتذرين عن الإيمان حتى لا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، ولإنذار الكافرين والفاسقين حتى يقلعوا عن كفرهم وفسوقهم"[٣]، وفيه ملمح آخر أن هذا الذكر هو منهج واضح متميز السمات، تكون طرق تحصيله والانتفاع به واضحة ومعروفة، وبعد الإعذار والإنذار يأتي وصف الأحداث التي تقع في يوم القيامة من طمس النجوم، ونسف الجبال، وتشقق السماء، ونلاحظ فيها تكرار أصوات الصفير (السين والصاد) وهذه الأصوات تمتلك نغماً صارماً في الصوت، وأزيزاً شديداً في السمع[٤] يتفق مع أهوال يوم الفصل إذ تحدث بجرسها الشديد هذا هزة شعورية تحصل في النفس وهي أليق شيء بموضوع السورة ومشاهدها العنيفة[٥]، وتبرز المناسبة بين صفة الانفجار في صوت التاء في الأفعال (طمست، فرجت، نسفت) وقوة حدث طمس النجوم، ونسف الجبال، وانشقاق السماء، وتدل أيضاً على نهاية الحدث واكتماله[٦].

في المحور الثاني من السورة نجد أن تخويف الكفار والاعتبار بمصارع الغابرين يتناسب مع الأصوات المجهورة القوية التي شاعت في هذا المشهد إذ تبيّن بالإحصاء أنها أكثر من الأصوات المهموسة فآياته فيها وعيد شديد من الله بإهلاك الكافرين من الأمم الماضية[٧]، وثمة توظيف جميل للأصوات في كلمتي(مهين، مكين) فالاختلاف بينهما يكمن في صوت(الهاء، والكاف) فالهاء صوت ضعيف قال مكي بن أبي طالب القيسي(٤٣٧هـ):" فإذا كان أحد الصفات الضعيفة في حرف كان فيه ضعف، وإذا اجتمعت فيه كان ذلك أضعف له كالهاء التي هي مهموسة رخوة منفتحة خفية، وكل واحدة من هذه الصفات من صفات الضعف في الحروف؛ ولذلك بُينت الهاء بواو مرة وبياء مرة زيد ذلك بعدها لضعفها وخفائها في قولك (رماهو)،(عصاهو)،(بهي)، ولم يُفعل ذلك بشيء من الحروف غيرها"[٨] وهذه الصفات تناسب معنى(المهين) وهو الضعيف الحقير في ظاهره شيء لا وزن له في مرأى العين[٩]، وأما (مكين) فقد ناسبت صفة الشدة (الانفجارية) في الكاف وهي من علامات قوة الحرف[١٠] معناه، فالمقصود به مكان حريز حصين يتمكن فيه الماء محفوظا سالماً من التعرض مما يفسده من الهواء وغيره[١١]، وهو" صفة لقرار، أي مكان مُتَمَكِّنٍ في ذلك فهو فَعِيلٌ من مَكُنَ مَكَانَةً، إذا ثبت ورسخ"[١٢]، ومن هذا يمكن القول إن" بعض الوحدات الصوتية تعمل كقوة مساعدة في إبراز الحدث، فضلاً عن قيمتها الذاتية التعبيرية وتأثير ذلك في وصف اللغة، لتكوّن دلالة الألفاظ التي تتألف منها"[١٣]، ويأتي صوت القاف في قوله تعالى **(فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ)** ليعلن أن مقادير خلق الإنسان وتصويره كيف شاء الله فيه كمال العظمة والقدرة إذ خلقه في أحسن تقدير "لأحوال النطفة في

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم:٢٩٧/٨، فتح القدير: ٤٣٠/٥.
(٢) ينظر: الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية: ١٦٩.
(٣) محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٩٨م:٢٣٤/١٥.
(٤) ينظر: الصوت اللغوي في القرآن: ١٧٩.
(٥) ينظر: في ظلال القرآن:٣٧٩٢/٦.
(٦) ينظر: أناهيد عبد الحميد الحريري: الإعجاز الصوتي في جزء عمّ، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٦: ٨٣.
(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن:١٥٩/١٩، محمد الأمين عبد القادر الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت،١٩٩٥: ٤٠٢/٨.
(٨) مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها: تح: أحمد حسن فرحات، ط٣، دار عمّار، عمان،: ١١٨-١١٩.
(٩) ينظر:الجامع لإحكام القرآن: ١٥٩/١٩، تفسير القرآن العظيم:٢٩٨/٨، التفسير القرآني للقرآن:١٥/ ١٣٩٨.
(١٠) ينظر:الكشف:١٣٧/١، محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري(ت٨٣٣هـ): التمهيد في علم التجويد: تح: علي حسين البواب، ط١، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٨٥: ٨٧.
(١١) ينظر: الجامع لأحكام القران:١٦٠/١٩، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:٢٨٦/٨، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي(ت١١٢٧هـ): روح البيان، دار إحياء التراث العربي، بيروت:٢٢٠/١٠.
(١٢) التحرير والتنوير:٤٣١/٢٩.
(١٣) مزعل محمد اللامي: الدلالة الصوتية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٧م: ٤٦.

التنقل من حال إلى حال حتى صارت إلى حال الإنسان"[١] وهو القادر على ذلك مطلقاً، وهذا الإيحاء الصوتي فيه متأتٍ من صفاته القوية قال مكي بن أبي طالب القيسي:" والقاف حرف متمكن قوي؛ لأنه من الحروف المجهورة[*] الشديدة المستعلية ومن حروف القلقلة"[٢]، وقد أضفى صوت القاف بجرسه ظلالاً جميلة على المعنى تمثلت" بالحكمة العليا التي تتولّى كل شيء بقدره في إحكام مبارك جميل"[٣] لأنه من أمتن الحروف وأصحها جَرْساً"[٤]، وقد حسّن اللفظ أيضاً فهذا من مزاياه قال الأزهري(ت٣٧٠هـ): "العين والقاف لا تدخلان على بناء إلا حسَّنتاه؛ لأنهما أطلق الحروف"[٥].

يستمر في هذا المحور وعيد المكذبين وبيان سوء مصيرهم فيقال لهم يوم القيامة: انطلقوا إلى ما كذبتم به من العذاب بعد أن أصررتم، وبعد وما انتصب لكم من الأدلة على قدرة الله التي لا يعجزها شيء[٦]، ومن الكلمات التي تبيّن شدة عذابهم (شُعَب) وهي جمع مفردها شُعْبَة، فالظلّ من دخان جهنم، يتشعّب لعظمه إلى ثلاث شعب كما هو شأن الدخان العظيم[٧]، فينطلقون إلى شعبة هاهنا، وشعبة هاهنا، وشعبة هاهنا، وقيل: إن شعبة تكون فوقه, وشعبة عن يمينه, وشعبة عن شماله فتحيط به[٨]، وقد جسّد صوت الشين انتشار هذا العذاب ومقداره من خلال صفة التفشي التي تدل في اللغة على الانتشار والانبثاث يقال تفشَّى الشيء: أي اتسع[٩]، وفي الاصطلاح هي انتشار ريح في داخل الفم عند النطق بصوت الشين[١٠]، ويطلق على الصوت المتفشي(الانتشاري) [١١] ويوصف به لرخاوته[١٢]، ثم جاء الجهر في صوتي العين والباء القويين ليدل على شدة العذاب، وهذا غير مستبعد في صفة هذا العذاب قال فخر الدين الرازي:" لأن الغضب عن يمينه والشهوة عن شماله والقوة الشيطانية في دماغه ومنبع جميع الآفاق الصادرة عن الإنسان في عقائده وفي أعماله ليس إلا هذه الثلاثة فتولدت من هذه الينابيع الثلاثة أنواع من الظلمات، ويمكن أيضاً أن يقال ههنا درجات ثلاثة وهي الحس والخيال والوهم وهي مانعة للروح عن الاستنارة بأنوار عالم القدس والطهارة ولكل واحد من تلك المراتب الثلاثة نوع خاص من الظلمة"[١٣]، ومن الكلمات الأخرى التي تصف العذاب (اللَّهَبِ) وتبرز " المناسبة بين أصوات الكلمة وما تدل عليه من حيث مناسبتها لأجزاء الحدث، فاللام القوية تقابل أول حدث التّلهب، والهاء برخاوتها تقابل سريان اللهب، والباء القوية تقابل سيطرة اللهب وقوته"[١٤]، وقد تكررت الآية **(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِين)** عشر مرات لتأكيد هذا الوعيد ولإعادة معناه[١٥]، وجاء في التفسير أن كلمة(ويل) هي" وادٍ في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ إلى قعره"[١٦]، وقد أوحت أصواتها المجهورة القوية بهذا المعنى، فصوت الواو الذي ينطق بانضمام الشفتين إلى بعضهما في وضع استداري[١٧] يوحي بتجمع الكفار، وكأن اندفاع الشفتين إلى الأمام فيه يصور

(١) محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري (ت: ٤٠٦هـ): تفسير ابن فورك، تح: علال عبد القادر بندويش، ط١، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٩م.
(٢) الرعاية: ١٧١.
(٣) في ظلال القرآن:٦/ ٣٧٩٣.
(٤) لسان العرب:٣/٨.
(٥) أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري(ت٣٧٠هـ): تهذيب اللغة ، تح: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١: ٣٨/١.
(٦) ينظر: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري(ت٥٣٨هـ): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ: ٦٨٠/٤، التفسير القرآني للقرآن: ١٤٠٢/١٥.
(٧) ينظر: محمد الأمين بن عبد الله الأرمي: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، مراجعة: هاشم محمد علي مهدي، ط١، دار طوق النجاة، بيروت،٢٠٠١: ٥٤٤/٣٠، التحرير والتنوير:٤٣٥/٢٩.
(٨) ينظر: جامع البيان:١٣٦/٢٤، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي(ت٤٥٠هـ): النكت والعيون، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت:١٧٩/٦.
(٩) ينظر: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧: ٦/ ٢٤٥٥.
(١٠) ينظر: نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد:٨٠.
(١١) ينظر: رشيد عبد الرحمن العبيدي: معجم الصوتيات، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، ٢٠٠٧: ٧٣.
(١٢) ينظر: التحديد في الإتقان والتجويد:١٠٩.
(١٣) مفاتيح الغيب: ٣٠/ ٧٧٤.
(١٤) الإعجاز الصوتي في جزء عم: ٢٨١.
(١٥) ينظر: التحرير والتنوير:٤٢٩/٢٩.
(١٦) جامع البيان في تأويل القرآن:٢٦٩/٢، وينظر: الجامع لأحكام القرآن:١٥٨/١٦، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١هـ): الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار هجر، مصر،٢٠٠٣، ٤٣٣/١، فتح القدير: ١٠٦/١.
(١٧) ينظر:الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل:١٥٧.

حالة المكذبين وهم يساقون للأمام نحو الجحيم[١]، وجاء المد في الياء متآزراً مع طول هذا الوادي، وانتهت باللام المفخمة تعظيماً لأمره وتفخيماً لشأنه ليصور العذاب الشديد الذي يلقاه المجرمون، ومن الكلمات التي صورت شدة العذاب كذلك (القَصْرِ) وهي على اختلاف مدلولها في كتب التفسير بين البناء العظيم من القصور، أو أصول الشجر العظام، أو الغليظ من الخشب كأصول النخل[٢] قد جاءت متناسبة من حيث قوة أصواتها التي جمعت(الجهر، والشدة، والاستعلاء، والإطباق، والصفير، والقلقلة) مع تلك النار العظيمة جداً فضلاً عن أنها تكشف عن عظمها وفظاعتها وسوء منظرها، ونلمح في الفعل(ترمي) تتابع النيران العظيمة الموصوفة بالقصر الواحدة تلو الأخرى من خلال صفة التكرير الموجودة في صوت الراء الذي يتشكل عن طريق ضربات سريعة متتابعة لأسلة اللسان[٣]، وفيه دلالة على سرعة رمي هذه النيران فالراء من الأصوات الذلقية التي تنطق بسرعة لخفتها وسهولة خروجها من طرف اللسان[٤].

يصف المحور الرابع نعيم المتقين، ومن الألفاظ التي دلت على ذلك كلمة (ظلال) إذ يحاكي معناها بناءها الصوتي فصوت الظاء المجهور المفخم المطبق يصور فخامة هذه الظلال وكثافتها، ويؤازره صائت الكسرة القصير الذي يعد من أقوى الحركات[٥] ليبين قوة هذا الظل" لكثرة شجر الجنة وكثرة المستظلّين بظلها، ولأن لكل واحد منهم ظلاً يتمتّع فيه هو ومن إليه وذلك أوقع في النعيم"[٦]، فضلا عن أن صوت الظاء يوحي بالنضارة والأناقة والرقة[٧] بما يتوافق مع نضارة ورق الأشجار الندية التي ترف على مشهد النعيم، وتبرز رخاوتها واستمرار جريان الصوت فيها استمرار هذا الظل ويعضده المد في صوت الألف الذي يعطي امتداداً واتساعاً مكانياً، وتضافر دلالة المد الحرف(في) الذي أفاد الظرفية وهي "ظرفية حقيقية بالنسبة للظلال لأن المستظل يكون مظروفا في الظل"[٨]، ولما كانت اللام من الأصوات الذلقية التي تعدّ من" أوضح الأصوات الساكنة في السمع ولهذا اشبهت في هذه الناحية أصوات اللين الساكنة فهي جميعاً ليست شديدة أي لا يسمع معها انفجار، وليست رخوة فلا يكاد يسمع لها ذلك الحفيف الذي تتميز به الأصوات الرخوة"[٩] فقد أوحت بالهدوء الذي يغمر المكان والطمأنينة والفرح الخالص العميق في النفس، ولاشك" أن استقلال أية كلمة بحروف معينة يكسبها ذائقة سمعية تختلف عما سواها من الكلمات التي تؤدي المعنى نفسه مما يجعل كلمة دون كلمة وإن اتحد المعنى مؤثرة في النفس"[١٠]، ومن تكريم هؤلاء المتقين كلمة (فَواكِه) وقد حاكت أصواتها المهموسة الرخوة طبيعة هذه الثمار اللينة اللذيذة، وخصّت بالذكر لأنها مما يتفكه به بعد الطعام، إذ هي مما يناله المترفون في حياتهم بعد أن يأخذوا حاجتهم من الطعام"[١١]، ونجد أن مخرج أصواتها تتنوع بين الشفوية الأسنانية، والشفوية، والطبقية(الحنكية)، والحلقية(الحنجرية)[١٢] وكلها ترجع إلى مخرج الفم مما يتناسب مع أكل هذه الفاكهة المُعدة للتلذذ، ومما يناسب التلذذ بالفاكهة أنهم يأخذون ما يريدون ويصور لنا صوت الشين بتفشيه وانتشاره سعة ما يتمنون ويريدون، ويناسب الزمن المستغرق في المد العارض للسكون عند الوقوف على رأس الآية (يشتهون) طول زمن الحدث وهذه خاصية اللفظ القرآني "فالحدث الذي يحتاج إلى زمن أطول يقابل بصوت يستغرق نطقه زمناً أطول، والحدث الذي يحتاج إلى زمن قصير يقابل بصوت يستغرق نطقه زمناً قصيراً"[١٣]، ولما كان القرآن العظيم كتاب دعوة صريحة فقد أوضح فيما يُلقى على أسماع الناس نعيم أصحاب الجنة وهو ما حققه صوت المد في كلمة (هَنِيئًا) من مظاهر الوضوح والإفصاح عن النعيم إذ تبيّن في علم اللغة الحديث أن أصوات

(١) ينظر: الدلالة الصوتية في القرآن الكريم:٥٨.
(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن::١٣٧/٢٤،تفسير القرآن العظيم:٢٩٩/٨، الدر المنثور:٣٨٥/٨.
(٣) ينظر: فوزي حسن الشايب: محاضرات في اللسانيات: وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٩: ١٧٧.
(٤) ينظر: أبو الخير محمد بن محمد ابن الجزري: النشر في القراءات العشر: أشرف على تصحيحه: علي محمد الضباع، دار الفكر للطباعة، بيروت،(د. ت): ٢٠٠/١، نهاية القول المفيد:٧٣.
(٥) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها:١٢٣.
(٦) التحرير والتنوير:٤٤٣/٢٩.
(٧) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها:١٢٣.
(٨) التحرير والتنوير:٤٤٣/٢٩.
(٩) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٥٧: ٥٨.
(١٠) محمد حسين الصغير: الصورة الفنية في المثل القرآني، منشورات وزارة الثقافة، العراق،١٩٨١: ٢٣٨.
(١١) التفسير القرآني للقرآن:٩٨٠/١٢.
(١٢) ينظر: التحديد في الإتقان والتجويد:١٢٢،١٦٩، كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٠: ٢٩٧،٢٧٣، المدخل إلى علم الأصوات:٩٥.
(١٣) محمد شملول، إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، دار السلام للطباعة، القاهرة،٢٠٠٦: ٦٠.

المد أوضح في السمع من غيرها[١]، وقد ناسب طول زمن المد الواجب المتصل فيها طول زمن مكوثهم في الدنيا عندما قيل لهم(هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فالباء للسببية: أي بسبب جبلاتكم التي جبلتكم عليها في الدنيا من الأعمال الصالحة المبنية التصديق بالجنة فأوجب دخولها كما أوجب تكذيب المجرمين بالنار[٢]، وأما الإقلاب الذي هو حكم من أحكام النون التنوين[٣] الحاصل بسب ملاقاة التنوين الباء في(هَنِيئًا) فهو يدل على تحول هؤلاء المتقين وانقلابهم حال من الدنيا إلى نعيم الجنة، وهذا يعني أن المفردة حققت أقصى أبعاد الوضوح المعنوي من خلال ما وظف فيها من أدوات تصريحية لبيان البؤرة الدلالية التي قصد إليها القرآن الكريم.

المبحث الثاني: البنية الصرفية

قال تعالى: **(وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا)** [المرسلات:١-٢] المقصود بالمرسلات في الآية: الرياح؛ لكون بضعها يتبع بعضاً، وقد يكون المقصود بها: الملائكة، قال الطبري:" وقد ترسل عُرْفا الملائكة، وترسل كذلك الرياح، ولا دلالة تدلّ على أن المعنيّ بذلك أحد الحِزْبين دون الآخر"[٤]، والمرسلات: هنا اسم مفعول مشتقاً من الفعل المضارع المبني للمفعول (يُرسَلُ) للدلالة على من وقع عليه فعل الفاعل إذ إن المرسِل هو الله تعالى ذكره، فالإرسال: بعث على وجه التؤدة والامتداد[٥] لما فيه من دلالة التمكن والقدرة، ثم يزاد عليه دلالة التتابع في قوله _عزّ وجلّ_ (عرفاً) قال الزمخشري(ت٥٣٨هـ):" متتابعة كشَعَر العرف"[٦] أي: عُرْف الفرس[٧]، وبذلك يتبين أن الرياح أو الملائكة تتابع إلى الأرض بتؤدة ويسر، كعرف الفرس في تتابع شعره وتناسقه وانتظامه على طريقة التشبيه البليغ[٨].

أما العاصفات في قوله تعالى **(فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا)** فهي الرياح إذا زمجرت وحركت أوراق الأشجار، والمراد هنا قوة الرياح بحيث تعصف عصفا قال الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٠هـ):" العصف: السرعة في كل شيء"[٩]، فهي اسم فاعل مشتق من (يعصف) المضارع المبني للمعلوم للدلالة على قوة العصف وتجدده، وذهب إلى ذلك ابن عاشور فقال:" فالعاصفات تفريع على المرسلات، أي ترسل فتعصف، والعصف يطلق على قوة هبوب الريح"[١٠]، ثم جاء المصدر(عصفاً) لتأكيد شدة الدفع وقوته، ومجيء العصف على زنة(فَعْل) دالة على القوة والشدة لقوة الفتح مع السكون، فضلاً عن دلالة الاعمام والشمول[١١]، وعلى هذا فالشمول والاعمام يحيل معنى العصف إلى تنوع دلالة العصف بين الشدة والقوة والاضطراب الذي تحدثه الرياح حين عصفها.

قال تعالى: **(وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا)** [المرسلات:٣] مجيء الواو هنا يؤذن في رأي إلى عطفها على المرسلات المقصود بها الرياح فهي تنشر السحاب نشراً في الأجواء، فالنشر في اللغة" فَتْحُ الشيء وتشعّبه"[١٢] على سبيل الاتساع والتوسع، قال الطبري:" فالرياح تنشر السحاب"[١٣] نشراً حتى يتسع في السماء ولاسيما السحاب المحمل الثقيل حتى يتوزع غيثه على أصقاع الأرض، قال تعالى **(وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ)** [الأعراف:٥٧] ثم يأتي الوصف ثالثاً للرياح في قوله تعالى **(فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا)** [المرسلات:٤] وتدور مادة (فرق) حول معنى التمييز والتزييل بين الأشياء، ومن ذلك فَرَق شعره فرقاً عزله وفصله حتى بان جلد رأسه[١٤] فالرياح الفارقة التي تفصل أجزاء السحاب بعضه عن بعض[١٥]، وإلى ذلك أشار مجاهد

(١) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس:١٢٠.
(٢) ينظر: نظم الدرر:١٨٣/٢١، فتح القدير:٤٣٥/٥.
(٣) ينظر: فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد:٧٣.
(٤) جامع البيان: ١٢٥/٢٤.
(٥) ينظر: مقاييس اللغة:٣٩٢/٢.
(٦) الكشاف:٦٧٨/٤.
(٧) ينظر: الجامع لإحكام القرآن: ١٥٤/١٩.
(٨) ينظر: التحرير والتنوير:٤٢١/٢٩.
(٩) الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي(ت١٧٥هـ): العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ط١، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.:٣٠٧/١.
(١٠) التحرير والتنوير:٤٢١/٢٩.
(١١) ينظر: آمنة سعد فرج الصفار: أبنية الاسم الثلاثي المجرد في القرآن الكريم:٢٢٤.
(١٢) مقاييس اللغة:٤٣٠/٥.
(١٣) جامع البيان: ١٢٧/٢٤.
(١٤) ينظر: مقاييس اللغة:٤/ ٤٩٣.
(١٥) ينظر: مفاتيح الغيب:٧٦٥/٣٠.

بن جبر(ت١٠٤هـ) فقال" الرياح تفرق السحاب فتبدده"[١]، وقد أورد صاحب تفسير (البحر المحيط) رأياً غريباً بأن" السحاب الماطر تشبيهاً بالناقة الفاروق، وهي الحامل التي تجزع حين تضع" [٢]، والأرجح أنها الرياح تفرّق السحاب أجزاء عديدة على البلاد[٣].

قال تعالى **(فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا* عُذْرًا أَوْ نُذْرًا)** [المرسلات:٥-٦] صيغة (مُلقٍ) اسم فاعل مشتق من الفعل المضارع المبني للمعلوم (يُلقي) وغالباً ما يدل اسم الفاعل على الحدوث، بمعنى الاستمرار والتجدد، فالملائكة هم من يبلغ الوحي: (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا) "الملائكة تلقي الذكر على الرسل وتبلغه"[٤]، ومجيء التبليغ بلفظ الإلقاء الدال على طرح الشيء ونبذه[٥]، وعادة ما يكون من أعلى إلى أدنى وهو ما يناسب تلقي الذكر والوحي سواء أكان بالإعذار أم بالإنذار، قال تعالى: (عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) فالعذر والنذر مصدران من عذر إذا محا الإساءة، ومن أنذر إذا خوّف على فِعل كالكفر والشكر"[٦] فالعذر" للذين يعتذرون إلى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها، وإما إنذاراً للذين يغفلون عن الشكر لله وينسبون ذلك إلى الأنواء"[٧] إذن فالذكر إما أن يكون عذراً بمعنى قبولاً لعذر المذنبين، وإما أن يكون إنذاراً بمعنى تحذيراً للعاصين، وفي ذلك حقيقة لاريب فيها ولذلك جيء بجواب القسم(إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ) أي "إن الذي توعدون أيها الناس من الأمور لواقع، وهو كائن لا محالة يعني بذلك يوم القيامة، و"ما ذكر الله أنه أعدّ لخلقه يومئذ من الثواب والعذاب"[٨]، ومجيء (واقع) على زنة (فاعل) للدلالة هنا على الثبات والاستقرار، وإن كان معنى (وقع): سقط، ولكنه سقوط من أعلى مع دلالة أخرى وهي الثقل، فهو سقوط ثقيل، ولذلك يطلق على ما يحدث أثراً في الأرض فيقال: مواقع الغيث: مساقطه على الأرض[٩]، وهنا ناسب حدوث يوم القيامة الثقيل، قال الله تعالى: **(ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً)** [الأعراف:١٨٧]

قال تعالى: **(فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ* وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ* وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ * وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ* لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ* لِيَوْمِ الْفَصْلِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ)** [المرسلات:٨_١٤] في هذه الآيات العظيمة ظاهرتان صرفيتان: أولهما: ظاهرة الجمع للألفاظ (النجوم، الجبال، الرسل)، وظاهرة: البناء للمفعول في(طُمست، فُرجت، نُسفت، أُقتت، أُجلت) وسيجري التركيز على صيغة الجمع لارتباطها المباشر بمعطيات علم الصرف، فالنجوم: الأجرام المضيئة في صفحة السماء، وصيغة(فعول) من جموع الكثرة فهي كثيرة جداً، وهي آية عظيمة ولذا أقسم الله بمواقعها فقال: **(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)** [الواقعة٧٦-٧٥] ثم إن كل هذه النجوم ستطمس، والطمس: المحو والمسح[١٠] بحيث لا يبقى له أثر من نور أو ضياء[١١] والأدل أن يكون الطمس: انماح ذواتها ومحقها[١٢]، والجبال جمع تكثير على وزن(فِعال) مفردها (جبل)، فهي على كثرتها تُنسف نسفاً قال تعالى(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا) [طه:١٠٥] فالنسف: استئصال الشيء المحسوس من أصله كشفاً وقطعاً وتفتيتاً[١٣]، قال الطبري:" وإذا الجبال نسفت من أصلها، فكانت هباء منبثا"[١٤] ثم يأتي جمع (الرسل) على زنة (فُعُل) مفردها رسول، وأفاد الجمع هنا الكثرة فهم كثر لأن المعنيّ به هنا الملائكة، وهم في حالة انتظار وتأجيل، ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم، ثم جاء التعبير بأسلوب البناء للمفعول وذلك لإرادة التذكير على حدوث الفعل وحصوله من الطمس وتفريج السماء ونسف الجبال وتوقيت الرسل وتأجيلها من دون تعيين فاعلها إذ إنه من المعلوم أن فاعلها هو الله تعالى إذ لا يقدر عليه غيره _سبحانه_[١٥]، والملاحظ في (أقتت

(١) البحر المحيط:٣٩٥/٨.
(٢) م. ن:٣٩٥/٨.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير:٤٢٢/٢٩.
(٤) جامع البيان:١٢٨/٢٤.
(٥) ينظر: مقاييس اللغة:٢٦٠/٥.
(٦) الكشاف:٦٧٨/٤-٦٧٩.
(٧) البحر المحيط:٨/ ٣٩٦.
(٨) جامع البيان:١٢٩/٢٤.
(٩) ينظر: مقاييس اللغة:١٣٤/٦.
(١٠) ينظر: م. ن: ٤٢٤/٣.
(١١) ينظر: جامع البيان: ١٤٣/٢٩.
(١٢)ينظر: مفاتيح الغيب:٢٣٦/٣٠.
(١٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٥/ ٤١٩.
(١٤) جامع البيان:١٢٩/٢٤.
(١٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٢٥/٢٩.

وأجلت) ورود صيغة (فعّل) الدالة على التكثير والمبالغة وفي ذلك تعظيم لتوقيت الرسل وتأجيلها بقوله تعالى **(لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ* لِيَوْمِ الْفَصْلِ *وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ)** [طه:١٢-١٤] قال الزمخشري في ذلك:" بيان ليوم التأجيل، وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق، والوجه أن يكون معنى وقتت: بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره: وهو يوم القيامة"[١]، و(الفصل) مصدر مقيس للفعل(فَصَل) المتعدي، ومعناه في اللغة: التمييز بين الأشياء وإبانتها[٢]، والمقصود به في الآية " تمييز الحق من الباطل بالقضاء والجزاء إذ بذلك يزول الالتباس والاشتباه والتمويه الذي كان لأهل الضلال في الدنيا فتتضح الحقائق على ما هي عليه في الواقع"[٣].

قال تعالى: **(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)** [المرسلات:١٥] تكررت هذه الآية عشر مرات في السورة، وفي هذا التكرار دلالات عدة أهمها الإعلان الصريح للتهديد بأشد أنواع السوء والشر قال القرطبي:" أي عذاب وخزي لمن كذَّب باللَّه وبرسله وكتبه وبيوم الفصل فهو وعيد"[٤]، وصيغة (المكذبين) اسم فاعل من الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد على وزن (فعّل)، ومن مضارع (يُكذّب) نشتق اسم فاعل بإبدال ياء المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل الآخر للدلالة على من قام بالفعل على وجه الاستمرار، إذ إنه ليس بمنقطع عن هذا الفعل، ولابمنته عن هذا العمل، والكذب معناه في اللغة ذهاب لبن الناقة[٥]، وكأن الذي يكذب يذهب بالحقيقة، والتكذيب نفي الحقيقة فيكون المعنى الدقيق (للمكذبين) الذين من ديدنه رفض الحق، ونفيه على خلاف التصديق.

قال تعالى: **(أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ * ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ* كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ)** [المرسلات:١٦،١٧،١٨] فالفعل **(نُهْلِكِ)** فعل ثلاثي مزيد بالهمزة، وقد أفاد هنا التعدية، فقد أهلك الله الأولين من الناس ثم سيتبع ذلك الإهلاك بالآخرين، وفي ذلك تحدٍ لإثبات أنها سنة باقية لا يستطيع أحد إيقافها، فالإهلاك الذي بمعنى الكسر والاسقاط[٦]، والإفناء مستمر للمجرمين من الأولين والآخرين، والمجرم: اسم فاعل مشتق من (يُجْرِمُ) للدلالة على من قام بالإجرام، أي الذي كسب خطيئة، واقتطع ذنباً عظيماً.

قال تعالى: **(أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ* فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ* إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ* فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ)**[المرسلات:٢٠_٢٣] في الآية جاءت كلمة (مهين) صفة مشبهة مشتقة من (مَهُنَ) بمعنى (ضَعُف) قال ابن فارس:" الميم والهاء والنون أصل صحيح يدل على احتقار وحَقَارة في الشيء"[٧]، والماء المهين: نطفة ضعيفة[٨] فلهذا الماء صفة المهانة والضعف قائمة فيه لا تنفك عنه.

و(مكين) صفة مشبهة كذلك، مقصود بها شدة التمكن والاستقرار في هذا القرار، والقرار المكين: هو الرحم[٩]، والقرار: محل المكث والاستقرار[١٠]، ووصف هذا المكان بالمكين؛ للدلالة على الثبوت والرسوخ فأصل مَكَنَ: وكر الطير[١١]، ومنه انتقل دلالياً إلى الاستقرار والمكوث.

ثم يأتي قوله تعالى **(إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ)** ويلحظ فيه تكرار مادة(قدر)، فالقدر المقصود به: الأجل المحدد، وقدرنا أي: حددناه بأصل محدد لايمكن لأحد تغييره، وهنا جاء الجواب سريعاً (فنعم القادرون) قال ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ): "الْقَدَر: بفتح الدال المقدار المعيّن المضبوط، والمراد مقدار من الزمان وهو مُدَّة الحمل"[١٢]، والفاء في (فنعم القادرون) للتفريع على (قدرنا) أي تفريع إنشاء ثناء، أي فدل تقديرنا على أننا نعم القادرون، أي كان تقديرنا تقدير أفضل قادر، وهذا تنويه إلى الخلق العجيب في القدرة، والقادرون اسم فاعل من (قدر) اللازم إذا كان ذا قدرة، وبذلك يكون الكلام تأسيساً لا تأكيداً، أي فنعم القادرون على الأشياء.

---

(١) الكشاف: ٦٧٩/٤.
(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٤/ ٥٠٥.
(٣) التحرير والتنوير: ٤٢٦/٢٩.
(٤) الجامع لإحكام القران:١٥٨/١٩.
(٥) ينظر: مقاييس اللغة: ٥/ ١٦٨.
(٦) ينظر: مقاييس اللغة: ٦/ ٦٢.
(٧) م. ن: ٥/ ٢٨٣.
(٨) ينظر: جامع البيان:١٣٢/٢٤، الجامع لإحكام القران: ١٥٩/١٩.
(٩) ينظر: الجامع لإحكام القران: ١٦٠/١٩.
(١٠) ينظر: التحرير والتنوير:٤٣١/٢٩.
(١١) ينظر: مقاييس اللغة:٣٤٤/٥.
(١٢) التحرير والتنوير:٤٣١/١٩.

قال تعالى: **(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا)** [المرسلات:٢٥_٢٧] يلحظ في الآيات بروز صيغ الجمع (أحياء، أموات، رواسي شامخات)، وكلمة(كفاتا) اسم بمعنى الوعاء؛ لأنه مأخوذ من كَفَت يكفت بمعنى جمع وضم[١]. إلا إنه ضم وجمع مع إدخال واحتواء، وعلى وفق هذا المعنى يستنتج جعل الأرض كفاتا قال الطبري: "ألم نجعل الأرض كِفاتَ أحيائكم وأمواتكم، تكْفِت أحياءكم في المساكن والمنازل، فتضمهم فيها وتجمعهم، وأمواتكم في بطونها في القبور، فيُدفَنون فيها"[٢]، وقد أورد القرطبي نقلاً عن الأخفش أن (كفاتاً) جمع مفردها (كافتة) فيكون معناها أوعية، فهي كفات للأحياء في البيوت، وكفات للأموات في القبور، ثم مجيء الأحياء والأموات بصيغة الجمع للدلالة على الكثرة الكاثرة التي تضمهم وتدخلهم إلى جوفها، فالأرض تستوعب الناس أحياء وأمواتاً. وفيها الجبال(رواسي شامخات) ومعنى الرواسي: الثوابت التي لا تزول، مشتقة من(رسا– يرسو) بمعنى ثبت[٣]، والرواسي: جمع على وزن فواعل مفردها (راسية) فهي اسم فاعل كأنها ثبتت بنفسها، وصفتها أنها شامخة، والشموخ العلو والارتفاع، يقال: شمخ بأنفه: إذا تعظَّم في نفسه[٤] فالجبال الراسيات عاليات، قال الطبري:" وجعلنا في الأرض جبالا ثابتات فيها، باذخات شاهقات"[٥]، وقد جمعت على فواعل لإرادة الصفة لغير العاقل"[٦]. وفي قوله تعالى **(وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا)** جاء الفعل(أسقى) على وزن أفعل للتعدية بمعنى أن الله أسقى الخلق الماء الفرات، وجاءت(فرات) على صيغة(فُعال) للدلالة على الصفة المشبهة الدالة على الثبات في الوصف، فالماء الذي أسقانا الله إياه ماء عذب في أصل تكوينه، فالعذوبة صفة ثابتة فيه، وفرات مشتق من (فَرُت) بمعنى: عَذُب[٧]، قال القرطبي:" والفرات: الماء العذب يُشرب ويُسقى منه الزرع"[٨].

قال تعالى: **(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ* انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ* لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ)** [المرسلات:٢٨–٣١] تبرز هنا ظاهرة التكرار في(المكذبين، تكذبون، انطلقوا، ظل، ظليل) والمعنى الذي ينبغي ملاحظته المشاكلة بين صغتي اسم الفاعل(المكذبين) والفعل المضارع(يكذبون)،الذين أصبح ديدنهم الصد والصدود وقلب الحقائق وتزيفها، فذلك اليوم يوم القيامة يكون الخطاب لهم انطلقوا أيها المكذبون إلى جهنم التي كنتم تكذبون بها، فهي الآن حقيقة ماثلة أمام أعينكم، ثم يأتي الانطلاق إلى ظل الذي هو دخان جهنم الذي من صفته أن له ثلاث شعب، قال ابن عاشور: " والشُّعَب: اسم جمع شُعبة وهي الفريق من الشيء والطائفة منه، أي ذي ثلاث طوائف وأريد بها طوائف من الدخان فإن النار إذا عظم اشتعالها تصاعد دخانها من طرفيها ووسطها لشدة انضغاطه في خروجه منها"[٩]، وصفة الظل أنه لا ظليل أي غير بارد، ولا رَوْح له ويلجأ إليه من لهب النار[١٠].

قال تعالى: **(إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ* كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ)**[٣١–٣٢] إن جهنم التي تنتظر المكذبين سترميهم بشرر أي: بجمر قِطَع من نار، قال الطبري: "عُنِي بالجمالات الصفر: الإبل السود، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وأن الجِمالات جمع جِمال، نظير رجال ورِجالات، وبُيوت وبُيوتات"[١١]، فالشرر: الجمر المتقد يدفعه لهيب النار في الهواء من دون التهاب النار، وهذا الشرر كالقصر: كالبناء العالي، ثم إنه: الشرر العظيم يشبه جمالة صفر، وقد اختلف فيها فذهب الطبري إلى انها الإبل السود، قال الفراء(ت٢٠٧هـ): "والصفر: سود الإبل، لا ترى أسوَد من الإبل إلا وهو مشرب بصفرة، فلذلك سمت العرب سود الإبل: صفرا، كما سمّوا الظبَّاء: أُدْمًا لما يعلوها من الظلمة فِي بياضها"[١٢]، وجاء "التشبيه بالجمال في الكثرة والتتابع وسرعة الحركة"[١].

(١) ينظر: مقاييس اللغة:١٩٠/٥.
(٢) جامع البيان:١٣٣/٢٤.
(٣) ينظر: مقاييس اللغة:٣٩٤/٢.
(٤) ينظر: م. ن:٢١٢/٣.
(٥) جامع البيان:١٣٥/٢٤.
(٦) الجامع لإحكام القران:١٦٢/١٩.
(٧) ينظر: مقاييس اللغة:٤٩٨/٤.
(٨) ينظر: مقاييس اللغة:٤٩٨/٤.
(٩) التحرير والتنوير:٤٣٥/٢٩.
(١٠) ينظر: مفاتيح الغيب:٧٧٤/٣٠.
(١١) جامع البيان:١٤١/٢٤.
(١٢) يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء(ت٢٠٧هـ): معاني القرآن: تح: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط١، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، (د. ت):٢٢٥/٣.

قال تعالى: **(هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ* وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ* وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ* هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ* فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ* وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)** [المرسلات:٣٥- ٤٠] الفعل (يعتذرون) فعل مضارع على بناء (افتعل) مشتق من مادة عذر، والعُذْرُ: "تحرّي الإنسان ما يمحو به ذنوبه"[٢]، فالمكذبون هنا ممنوعون من تقديم العذر لعدم وجود العذر"[٣]، وفي هذا منتهى التبكيت، قال ابن عاشور:" والأمر للتعجيز، والشرط للتوبيخ والتذكير بسوء صنيعهم في الدنيا، والتسجيل عليهم بالعجز عن الكيد يومئذٍ حيث مُكِّنوا من البحث عما عسى أن يكون لهم من الكيد فإذا لم يستطيعوه بعد ذلك فقد سُجل عليهم العجز، وهذا من العذاب الذي يعذّبونه إذ هو من نوع العذاب النفساني وهو أوقع على العاقل من العذاب الجسماني"[٤].

قال تعالى: **(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ* وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ* كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ* إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)** [٤١- ٤٤] في الآيات تظهر صيغ الجموع (ظلال، عيون، فواكه)، فالظلال مفردها ظلّ، والمراد هنا التعبير عن كمثرة الأشجار، وكثافة أوراقها، مع كثرة العيون التي هي الينابيع، ثم يأتي الجمع الآخر فواكه مفردها فاكهة لتدل على كثرة خير هذه الجنات؛ لما فيها من فنون الترفه وأنواع التنعم، وهذا جزاء خاص بالمحسنين، فإنهم "مستقرون في فنون الترفه وأنواع التنعم"[٥]، و(يشتهون) على صيغة (افتعل) مشتق من الشهوة التي تدجل على نزوع النفس إلى ما تريده"[٦].

الأفعال المجردة:

الوزن	الفعل
فعَل	أُقِّتَتْ، أُجِّلَتْ، تُكَذِّبُونَ
أفعل	أَسْقَيْنَاكُمْ، يُؤْمِنُونَ، يُغْنِي
تفعّل	تَمَتَّعُوا
افتعل	يَشْتَهُونَ، فَيَعْتَذِرُونَ
انفعل	انْطَلِقُوا

الأفعال المزيدة:

الوزن	الفعل
فَعَلَ _ يَفْعُل	فَقَدَرْنَا، جَمَعْنَاكُمْ،نَخْلُقْكُمْ،كُنْتُمْ، كُلُوا
فَعَلَ _ يَفْعِل	**طُمِسَتْ، فُرِجَتْ، نُسِفَتْ، تَرْمِي، فَكِيدُونِ، نَجْزِي**
فَعَلَ _ يَفْعَل	**فَجَعَلْنَاهُ، ارْكَعُوا، يَرْكَعُونَ**
فَعِلَ _ يَفْعَل	**تَعْمَلُونَ، يُؤْذَنُ، اشْرَبُوا**

(١) محمود شكري بن عبد الله بن محمد الألوسي (ت: ١٣٤٢هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت):١٧٦/٢٩.
(٢) الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ): المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، بيروت، ١٤١٢هـ:٥٥٥.
(٣) ينظر: مفاتيح الغيب:٧٧٨/٣٠.
(٤) التحرير والتنوير:٤٤٢/٢٩.
(٥) روح المعاني:١٧٨/٢٩.
(٦) المفردات في غريب القرآن:٤٦٨.

المشتقات:

اسم الفاعل	اسم المفعول	الصفة المشبهة
الْعَاصِفَاتِ، النَّاشِرَاتِ، الْفَارِقَاتِ، الْمُلْقِيَاتِ، وَاقِعٌ، الْمُكَذِّبِينَ، الْقَادِرُونَ شَامِخَاتٍ،الْمُتَّقِينَ،الْمُحْسِنِينَ مُجْرِمُونَ	الْمُرْسَلَاتِ، مَعْلُومٍ مَهِينٍ	مَكِينٍ، فُرَاتًا، ظَلِيلٍ هَنِيئًا، قَلِيلًا

المصادر
عُرْفًا، عَصْفًا، نَشْرًا، فَرْقًا، الْمُلْقِيَاتِ، ذِكْرًا قَدَرٍ، الْقَصْرِ، الْفَصْلِ، كِفَاتًا، وَيْلٌ

الأسماء:

المفرد	**الجموع**
السَّمَاءُ، يَوْمٍ، جِمَالَتٌ، مَاءٍ، قَرَارٍ، الْأَرْضَ، ظِلٍّ، ثَلَاثِ، اللَّهَبِ، وَالْأَوَّلِينَ، كَيْدٌ، حَدِيثٍ	**النُّجُومُ،الْجِبَالُ، الرُّسُلُ، أَحْيَاءً، وَأَمْوَاتًا، رَوَاسِيَ، شُعَبٍ، بِشَرَرٍ، صُفْرٌ، ظِلَالٍ، عُيُونٍ فَوَاكِهَ**

نتائج البحث:

- إن الظواهر الصوتية فنية بديعة من روائع البيان القرآني استعملها من أجل التعبير عن لوازم المعنى التي تجتمع في لفظتها للدلالة على معان أخرى تودّى عن طريقها.
- لقد وضعت الأصوات اللغوية في أنساق بنائية مناسبة للمعاني التي تناسقت مع مقتضيات السياق في استكناه المشاهد التي تتجه بالخطاب إلى القارئ لاستحضار أسرار هذا القرآن وتلمّس سبل الفلاح من خلاله.
- يمكن إيجاد تفسير حديث للآيات القرآنية يقوم على معطيات الدرس الصوتي القديم والحديث والتي لا تتقاطع مع النص القرآني مستفيداً من معطيات السياق التي قد تؤيد ذلك وتقرّه.
- برزت ظاهرة التأكيد بالمصدر المشتق من الفعل نفسه الذي أخذ منه المشتق نحو(فالعاصفات عصفا)، و(الناشرات نشرا)، و(فالفارقات فرقا) وذلك للدلالة على قوة الحدث وتوكيده.
- تعددت صيغ الأفعال بين مجردة ومزيدة فأثرت النص لما فيها من دلالات صرفية، فضلاً عن بروز ظاهرة البناء للمفعول ولاسيما في مشهد يوم القيامة.
- تعدد صيغ اسم الفاعل في السورة كالعاصفات، والناشرات، والفارقات، والملقيات، والمكذبين، والقادرون، والمتقين، والمحسنين، والمجرمون، مما أعطى دفقاً دلالياً فاعلاً في النص؛ إذ إن اسم الفاعل يدل على من قام بالفعل على وجه التجدد والاستمرار، في حين وردت صيغ اسم المفعول على نحو أقل نحو المرسلات، ومعلوم.
- تعددت صيغ الجموع نحو(النجوم، الجبال، الرسل، أحياء، رواسي، ظلال، عيون، فواكه)

المصادر

١. أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ): الكشف والبيان عن تفسير القرآن تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م

٢. محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الملقب بفخر الدين الرازي(ت: ٦٠٦هـ): مفاتيح الغيب المسمى (التفسير الكبير) ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٣. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت: ١٣٩٣هـ): تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المعروف بـ (التحرير والتنوير)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٤. محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري(ت:٢٥٦هـ): صحيح البخاري، تح: مصطفى البغا، ط٣، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧م.

٥. إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

٦. أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت: ١٠٦٩هـ): عناية القاضي وكفاية الرَّاضي على تفسير البيضاوي المسماة (حاشية الشِّهاب على تفسير البيضاوي): دار صادر، بيروت،(د. ت).

٧. محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ): محاسن التأويل، تح: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

٨. جعفر شرف الدين: الموسوعة القرآنية، خصائص السور، ط١، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت،١٤٢٠هـ.

٩. الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ): المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٠م.

١٠. إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي: مصاعد النَّظر للإشراف على مقاصد السور، ط١، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٨٧م.

١١. أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري(ت٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.

١٢. أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي(ت٥٤٢هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

١٣. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي(ت٦٧١هـ) ، تح: أحمد البردوني، ط٢، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٩٦٤م.

١٤. عبد الحميد الفراهي: نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ط١،الدائرة الحميدية، الهند، ٢٠٠٨م.

١٥. فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، دار عمار، الأردن، ٢٠٠٧م:١٤.

١٦. عُلية مُنفردة، كلية العلوم الانسانية: خصائص الحروف العربية ومعانيها في المعجم الوسيط _دراسة وصفية تحليلية عن المفردات_ جامعة مولانا مالك إبراهيم، اندونيسيا،٢٠١٠م.

١٧. أبو بشر عمرو بن عثمان (سيبويه)(ت١٨٠هـ): الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.

١٨. أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني(ت٤٤٤هـ): التحديد في الإتقان والتجويد ، تح: غانم قدوري حمد، ط١، مطبعة الخلود، بغداد، ١٩٨٨م.

١٩. عبد الله العلايلي: تهذيب المقدمة اللغوية، دار السؤال للطباعة، دمشق، ١٩٨٥م.

٢٠. حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، مطبعة اتحاد كتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨م.

٢١. مكي بن أبي طالب القيسي(ت٤٣٧هـ): الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٤م.

٢٢. عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ط١، دار صفاء للنشر، عمان، ١٩٩٨م.

٢٣. كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٢٤. غانم قدوري الحمد، دار عمار: المدخل إلى علم أصوات العربية: عمان، ٢٠٠٤م.

٢٥.وهبة بن مصطفى الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، ط٢، دمشق،، ١٤١٨هـ.
٢٦.محمد حبيب مختار المبارك: التناسق الموضوعي في سور القيامة والإنسان والمرسلات، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٤هـ.
٢٧.سيد قطب إبراهيم حسين(ت ١٣٨٥هـ): في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط ١٧،١٤١٢هـ.
٢٨.سمير شريف إستيتية، الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ط١، دار وائل لنشر، عمّان، ٢٠٠٢م.
٢٩.أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير(ت٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم، تح: سامي محمد سلامة، ط٢، دار طيبة، ١٩٩٩م.
٣٠.محمد بن مكرم بن على بن منظور(ت٧١١هـ): لسان العرب: دار صادر، بيروت،١٤١٤هـ.
٣١.محمد مكي نصر، دقّق الطبعة: أحمد علي حسن: نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد: مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١١م.
٣٢.محمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت١٢٥٠هـ): فتح القدير: دار ابن كثير، ط١، بيروت،١٤١٤ هـ.
٣٣.محمد حسين الصغير: الصوت اللغوي في القرآن: دار المؤرخ، بيروت، (د. ت).
٣٤.محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٩٨م.
٣٥.أناهيد عبد الحميد الحريري: الإعجاز الصوتي في جزء عمّ، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٦م.
٣٦.محمد الأمين عبد القادر الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
٣٧.مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها: تح: أحمد حسن فرحات، ط٣، دار عمّار، عمان.
٣٨.محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري(ت٨٣٣هـ): التمهيد في علم التجويد: تح: علي حسين البواب، ط١، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٨٥م.
٣٩.إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي(ت١١٢٧هـ): روح البيان، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٠.مزعل محمد اللامي: الدلالة الصوتية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٧م.
٤١.محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري (ت: ٤٠٦هـ): تفسير ابن فورك، تح: علال عبد القادر بندويش، ط١، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٩م.
٤٢.أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري(ت٣٧٠هـ): تهذيب اللغة ، تح: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١.
٤٣.أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري(ت٥٣٨هـ): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٤٤.محمد الأمين بن عبد الله الأرمي: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، مراجعة: هاشم محمد علي مهدي، ط١، دار طوق النجاة، بيروت،٢٠٠١م.
٤٥.أبو الحسن علي بن محمد الماوردي(ت٤٥٠هـ): النكت والعيون، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٦.أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
٤٧.رشيد عبد الرحمن العبيدي: معجم الصوتيات، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، ٢٠٠٧م.
٤٨.فوزي حسن الشايب: محاضرات في اللسانيات: وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٩م.

٤٩.أبو الخير محمد بن محمد ابن الجزري: النشر في القراءات العشر: أشرف على تصحيحه: علي محمد الضباع، دار الفكر للطباعة، بيروت،(د. ت).
٥٠.محمد حسين الصغير: الصورة الفنية في المثل القرآني، منشورات وزارة الثقافة، العراق، ١٩٨١م.
٥١.كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٥٢.محمد شملول، إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، دار السلام للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
٥٣.الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي(ت١٧٥هـ): العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ط١، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.
٥٤.يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء(ت٢٠٧هـ): معاني القرآن: تح: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط١، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، (د. ت).
٥٥.محمود شكري بن عبد الله بن محمد الألوسي (ت: ١٣٤٢هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).
٥٦.الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ): المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار – بيروت، ١٤١٢هـ.